المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

الإقناع في سرد الهوية

رواية "الأزبكية" لـ"ناصر عراق" نموذجا

Argumentation in the Narration of Identity
The novel 'Al-Azbekia' by 'Nasser Iraq'
as a model

بقلم الدكتورة

نجلاء علي أحمد مشعل

أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية، الكلية الجامعية بأملج
جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية.
والأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، كلية الآداب جامعة كفر الشيخ - مصر

الجزء الخامس (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإقناع في سرد الهوية رواية "الأزبكية" لـ"ناصر عراق" نموذجا

نجلاء علي أحمد مشعل

قسم اللغة العربية، الكلية الجامعية بأملج، جامعة تبوك، المملكة العربية السعودية.

قسم اللغة العربية، كلية الآداب جامعة كفر الشيخ – جمهورية مصر العربية .

البريد الإلكتروني : nmeshal@ut.edu.sa

الملخص

الهوية من أكثر الموضوعات حضورا في السرد العربي، تكاد تظهر – تقريبا– في كل المدونات السردية، ولما كانت غاية الخطاب عند البعض هو التأثير، ليقف على الحافة بين الإبداع والإمتاع، لا سيما إذا كان موضوعه يتناول تيمة مهمة مثل الهوية؛ فيكون تتبع ما يستخدمه النص من استراتيجيات للإقناع مثل الحجاج، أو تفحص التقنيات التي توجه السرد مثل وجهة النظر جدير بالدرس. توفرت الدراسة على الإقناع بالهوية القطرية في رواية الأزبكية لـ"ناصر عراق"، بدراسة السرد دراسة سردية لتتبع آليات الإقناع بها عبر وجهة النظر والشخصيات محاولة الاستفادة من معطيات السرديات الكلاسيكية وما بعد الكلاسيكية على حد سواء، فبعد التمهيد عن مفهوم الهوية وتتبعها بين السرد والتاريخ، ووجهة النظر بين السرديات الكلاسيكية وما بعدها، أطلت الدراسة على العتبات المتفاعلة مع موضوع الهوية داخل النص المدروس، وتتبعت وجهة النظر عبر الراويين الداخلي والخارجي وأعوانهما السردية، ثم دراسة الحجاج لتيمة الهوية في الحوار، وما تطلبه من إشارة لسيمياء الشخصيات في الحكي تطلبها اختيارها السردي.

الكلمات المفتاحية: الإقناع، الحجاج، وجهة النظر، الهوية، رواية الأزبكية، ناصر عراق .

Argumentation in the Narration of Identity
The novel 'Al-Azbekia' by 'Nasser Iraq' as a model

Najla Ali Ahmed Mishaal

Department of Arabic Language, University of Tabuk, Saudi Arabia Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Kafr El-Sheikh University, Egypt.

Email: nmeshal@ut.edu.sa

Abstract

Identity is almost one of the most dominant themes in Arabic narrative blogs. When the goal of a speech for some is to have an impact, it stands on the edge between creativity and entertainment, especially if its subject deals with an important theme such as identity. Therefore, examining the strategies used in the text to persuade, such as arguments, or point of view the techniques that guide the narrative perspective is worth. The paper aims at studying identity in Nasr Iraq's "Azbakia"; by focusing on both the point of view and the Argumentation via a narrative study in an attempt to apply the Classical narrative and Neo-classical narrative approaches. In addition, the study aims at studying interactive thresholds "paratexts" with the theme of identity within the selected text, point of view of the interior and exterior narrators and his chief narrative assistants with a spacetime argumentative indications. Then, theme of identity in dialogue is argumentatively presented; with regards to the Characters semiotics in narration as required in an argumentative narrative way .

Keywords: point of view -Argumentation- Identity- Narratives- Nasr Iraq- Azbakia.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

السرد عالم مواز للحياة، درج منذ تجلياته الأولى لبناء الإنسان وتشكيل ذاته، فالسرد التخييلي _ حتى وإن كان عجائبيا _ جدير بعوالمه الشبيهة/المحاكية لحياة الإنسان أن يحتمل قضاياه الكبرى، والهوية من أعمق القضايا وأكثرها خطرا، ويمكن القول: إن "الهوية" موضوعة حاضرة بقوة فى السرد العربي، يحاول السارد الضمني أن يسهم محاجا فى توجيه "الهوية" لدى المتلقى، أو يثور كيف تشكلت في السياقات المختلفة من خلال الإقناع بها والحجاج لها، والحجاج يعد أظهر وأبرز آليات الإقناع(١) ، والأخير– الإقناع– استراتيجية مجالها الحجاج يرمي لإقناع المتلقي المباشر الشخصيات المتحاورة في السرد، أو غير المباشر المتلقي الضمني.

تتشكل الهوية من تفاعل الإنسان مع مجتمعه، فهي اكتسابية لا وراثية، مفتوحة لا مغلقة، ما يدعو السارد الضمني لمحاولة سبرها أو تشكيلها لدى المتلقى بتسريب وجهة نظره.

وتحاول الدراسة من خلال النص المختار"الأزبكية" لـ "ناصر عراق" الوقوف على محاولات الإقناع بالهوية القطرية المصرية من خلال الدراسة السردية المعتمدة لنظرية الحجاج، وذلك للإجابة عن سؤال رئيس: إلى أى مدى يسهم السرد فى تشكيل الهوية والإقناع بها؟

لقد تطلعت السيميائية– كأبرز نظريات السرد– إلى المدارج الجديدة التى أضافتها التداولية–ومنها السرديات التلفظية– لتحيط بكل مظاهر الخطاب فيما يتعلق بالمتلقي والمتلفظ، فأولت أهمية للعملية التلفظية والمتلفظ ودور(التلفظ) فى إنتاج المعنى، فـ"المتلفظ"(٢)– راويا خارجيا كان أوداخليا/ شخصية– هو ما يكشف عن

---

(١) ينظر: محمد حمودي، الحِجاج واستراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن مقاربة إبستمولوجية، مجلة حوليات التراث ع/١٢/٢٠١٢، الجزائر، ١٢٧.

(٢) يقصد بالمتلفظ مكانه في السرديات التلفظية كحامل لوجهة النظر.

الذاتية في عرض وجهة النظر وما تحتمله من أيدولوجيا، ومع ذلك يعد أكثر عناصر العملية السردية أهمية في الدراسات السردية/علم السرد، ثم كان الاشتباك مع الدراسة التداولية التى عنيت بطرفي المرسلة لاسيما "المتلفظ"، وهو ما يناسب الدراسة الحالية في تتبع تشكيل الهوية المصرية عبر مرحلة تاريخية فارقة أو بالأحرى تشكيل الهوية للشخصية المصرية عبر التخييل المتخذ من التاريخ مرجعا إبان الحملة الفرنسية على مصر، فالاعتقاد راسخ بأن السرد ليس بنى هيكلية جمالية يتيه الناص بتشيديها، ويعجب القارئ بجمالياتها ومدارجها التخيلية فحسب، بل هي بنية جمالية ترمي إلى ترسيخ محتوى فكري وهو ما تحتمله السرديات ما بعد الكلاسيكية.

مُهد للدراسة بالوقوف على مفهوم الهوية، والهوية بين السرد والتاريخ، ووجهة النظر من السرديات الكلاسيكية إلى السرديات التلفظية.

ثم ألقي الضوء على النصوص الموازية للسرد المتماسة مع تيمته الأساسية خاصة الإهداء الخاص المشتبك منذ المفتتحات ببعض علامات النص.

وتطرقت لحجاج الراوي _راويا مشاركا أو غفلا/ خارجيا _ في عرضه لوجهة نظره موجها السرد صوب مقاصده، وموضحا مناسبات وجهة النظر ذات البعد الحجاجي.

ثم كان تناول حجاج الشخصيات ، وما يتطلبه من التطرق بإيجاز لسيميائية الشخصيات كما صنفها "فليب هامون"؛ لتنير التركيز السردي في اختياراته التي تعضد حجاجه، وأخيرا خُتم البحث بالخاتمة وثبت المصادر والمراجع.

تمهيد:

١-مفهوم الهوية، والهوية بين السرد والتاريخ:

لا يمكن إغفال سطوة الإيديولوجي لدى الكاتب لاسيما في السرد، حتى إن المكون الأيديولوجي قد يشكل خطا ثابتا يمكن تتابع صيرورته فى الأعمال التالية للكاتب، فلا يوجد نص إلا وخلفه رؤية أنتجته، ووضعت معالمه البنائية وشكلت عناصره، فهي بالنهاية جزء من عناصر الكتابة، والدراسة هنا من خلال السرديات تتتبع الإقناع بالهوية القطرية من خلال حجاجية وجهة النظر والشخصيات، صارفة جهدها إلى الكاتب الضمني كممثل نصي، إن اهتمام الروائى العربي بقضايا وطنه لا يمكن إغفاله، والهوية ومكوناتها في سنام قائمتها، فهي تكاد تكون السؤال الأساسي الذي يطل من وراء كل إبداعات الكاتب مع تحديات الاستعمار فى الماضي، والتوسعات الإمبريالية في الحاضر، وهجمة الجماعات المتشددة على الوطن العربي فى أصقاعه المختلفة.

وتمثل العودة للتاريخ فى السرد عامة والرواية خاصة بمثابة مراجعة للهوية العربية في تشكلاتها المختلفة عبر الزمن وتحدياته، وأفق اكتشافها للفرد والبحث عنها، ومقارنة الوعي بالهوية بين الماضي والحاضر في تشكل القيم العربية وخصوصيتها الحضارية والفكرية.

العربى –والمصرى خاصة – في صراع ذاتي مع عناصر الهوية من لغة ودين وأرض، فهل الانتماء للدين وحده دون القطرية أو الوطن؟ أو أن الانتماء للوطن وحده هو الحاكم أو المحك؟ إن تشابه الظروف التاريخية للزمن الداخلي الذي اختاره الكاتب في النص المدروس مع مثيلتها في زمن الكتابة بعد يناير ٢٠١١م يصور استمرار هذا الصراع وعدم انقطاعه؛ ما يعكس امتداد حيرة المصري الباحث عن المكون الأول لهويته بين الوطن والدين، ويتطور هذا التثوير لمفهوم الهوية المصرية في السرد الروائي ليجعل السؤال الأهم عن دور السرد في الإقناع بالهوية القطرية المصرية، وبذلك يتعزز دور السياق التاريخي والأحداث

الاجتماعية لزمن الكتابة في أنها ليست "مجرد سياقات تناوش النصوص من بعيد، بل فواعل تشكل مقام الحجاج وسياقاته"(١)

إن العلاقة بين السرد والهوية علاقة إمكانية تمثيل، فالهوية هي بناء الذات، والسرد كما يراه (باختين) هوالأقدر على رؤية البشر بوصفهم يصنعون أنفسهم دائما(٢)، بحيث تصير الرواية مجالا من الاحتمالات فيما يتعلق ببناء هوية الإنسان(٣)، بل إن الأمر ليغدو أعمق من ذلك حسب رؤية (ريكور) الذي يؤكد أن هويتنا: "مزيج مما يأتي من التخييل ومما تبنيه حقائق التاريخ"(٤)، ففرق بين الهوية الذاتية الشخصية والهوية السردية✸، فالأخيرة هي: "مكان القلب والتبادل والتمازج بين التاريخ والخيال والقصص"(٥)، الأمر الذي يفتح المجال للحديث عن العلاقة بين التاريخ والسرد مادامت الهوية المتشكلة فى السرد المدروس تعود زمنيا للتاريخ في فترة زمنية من أخطر الفترات فى تاريخ مصر الحديث، أو كما هي- في رأي البعض-بداية تاريخ مصر الحديث.

---

(١) محمد مصطفى حسانين ، معلقة عمرو بن كلثوم الحجاج والسلطة والهوية"، ضمن النص الشعري قراءات تطبيقية، الانتشار العربي، بيروت،٢٠١٦، ١٩.

(٢) ينظر: جينز بروكمبير ، دونال كربو، ت عبدالمقصود عبدالكريم: السرد والهوية: دراسات فى السيرة الذاتية والذات والثقافة، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ١٩.

(٣) ينظر: بديعة الطاهرى، السرد وإنتاج المعنى، رؤية، القاهرة، ٢٠١٥، ١٠.

(٤) بول ريكور، الذات عينها كآخر، ت جورج زيناتي، مركز دراسات الوحدة، المنظمة العربية للترجمة،بيروت،٢٥١،،٢٠٠٥.

✸ الهوية السردية مصطلح استخدمه ريكور ليعبر عن تشكيل الأنا لأناها التاريخية عبر السرد السيرذاتي.

(٥) بول ريكور، السابق نفسه،٢٥١.

ويتداعى السؤال هنا عن علاقات التداخل والتماس بين الهوية المصرية في السرد المدروس والتاريخ[1]✸، فالروائي أحيانا يسائل التاريخ فيما يعجز عن مقاربته فى الواقع، فيعود أدراجه إلى الزمن الفائت مسقطا هذا على ذاك، ورواية

---

(١) لوحظ في العقد السابق والحالي عودة الروايات إلى التاريخ بكثرة، فهل تجد فيه ملاذا آمنا من المساءلة، ومن تردي الواقع العربي في كثير من ربوعه؟ أو هو رد فعل عكسي أو استجابة لصعود بعض التيارات الإسلامية في بعض الفترات، ودعوتها الرئيسة في عدم الاعتداد بالمكون القطري /الوطني للهوية.

✸ سبق هذا البحث لرواية "الأزبكية" بدراستين هما: "الرواية التاريخية رواية الهوية الأزبكية لناصر عراق لعادل درغام"، و:جدلية السرد والتاريخ في الروايات الجديدة: دراسة في روايتي "إيقاع" و"الأزبكية" لعلاء الدين فتحي محمد الجابري، فالأولى: توفرت على تثوير الهوية في رواية الأزبكية من خلال تتبع الأنساق الثقافية في السرد، وكان البدء عنده – قد استغرق نصف حجم الدراسة أو يزيد قليلا– بتحقيق مصطلح الرواية التاريخية في السياقين العربي والأجنبي، ثم تفصيل وتأصيل في الفصل بين التاريخ والقصص/ التاريخ والرواية التاريخية، تبعه حديث عن انجذاب الرواية للتاريخ وتيمة الهوية، ولم يتطرق للإقناع أو الحجاج، كما لم تستغرق وجهة النظر في الدراسة أكثر من صفحتين من الفضاء النصي للبحث، وختمت الدراسة بتفكيك المقولات النسقية في النص.

_ وأما الثانية: فقد مهدت بمدخل–كما يقتضي عنوانها– عن علاقة الخيالي والتاريخي/الممكن والواقع، وتناولت بالدرس روايتين هما: "الأزبكية" و"القناع"، والجامع بينهما ارتباط الزمن الداخلي بفترة حكم محمد علي لمصر، جاء البحث في عرض مواز وموازن بين الروايتين، في بعض عناصرالشكل والمضمون مركزا على موضوعه الأساسي في الجدل الواقع بين السرد والتاريخ في النصين، فعرض على التوازي لمضمون النصيين، ثم بعض تقنيات الشكل، وختم قبل النتائج بالموقف من الرومانسية بين التاريخ والواقع، فلم يتطرق للإقناع في رواية الأزبكية.

_ ينظر:عادل درغام، الرواية التاريخية رواية الهوية الأزبكية لناصرعراق، دراسات عربية وإسلامية، جامعة القاهرة، مركز اللغات الأجنبية والترجمة، القاهرة،ج٦٥، ٢٠١٧، علاء الدين فتحي محمد ،جدلية السرد والتاريخ في الروايات الجديدة: دراسة في روايتي "إيقاع" و"الأزبكية، مجلة كلية دار العلوم، الجابري، القاهرة،ع ١٠١ ، ٢٠١٧.

(الأزبكية) اختارت زمنها الداخلي في فترة (١٧٩٨- ١٨٠٥م) إبان الحملة الفرنسية وتولي "محمد على" عرش مصر، وزمن كتابتها ٢٠١٢م بعد ثورة يناير ٢٠١١، للتشابه بين المرحلتين، احتلال ثم مخاض أليم، واضطراب في الهوية وتمزق بين الدين أو القطرية أو اللغة، وثورة ٢٠١١م مخاض شبيه وفوضى في المفاهيم والمبادئ، فهل أسقط الكاتب الماضي على الحاضر ليبث رؤيته لمفهوم الهوية المصرية عنده والإقناع بها؟

وجهة النظر في الرواية المدروسة قدمها السرد من منظور ما بعد الحداثة الذي يرى الأشياء والبشر والهويات والأحداث لا تتكون مرة واحدة، بل هي نتاج لحظات تاريخية وسياقات متعددة فـ " التاريخ – وكذا الهويات – من منظور ما بعد الحداثة موضوع موجود ولكنه ليس موجودا وجودا أصيلا وجوهريا، كما أنه لا يوجد مرة واحدة وإلى الأبد... فهو شيء يتم خلقه واختلاقه..." [١] ، ولعله الأمر الذي جعل "بول ريكور" يتحدث عن (الهوية السردية) المتشكلة عبر السرد، وفي رواية (الأزبكية) حاول السرد رصد تشكل الهوية المصرية والإقناع بها، وجعلها تتبلور بحجاج الراوي، وتثوير الشخصيات لتنتهي بالوصول إلى الاعتداد بالمكون الوطني للهوية، يدعم ذلك اعتبار الزمن الكتابي للنص وسياقاته الملتبسة، التي حاولت معها تيارات مختلفة حصر هوية مصر في الهوية الدينية التي تبتر كل تميز أو مكون مصري سواه، وتقطع الوصل بين التاريخ والأصول والحضارة والأرض، فالكاتب الضمني دفع محاجا نحو تشكيل الهوية المصرية الوطنية بكل ما تحمله من طبقات مختلفة تشكلت عبر الأزمان التي مرت على مصر دون إسقاط مرحلة أو إغفالها، وهذا ما قصده "بول ريكور" بأن جعل لب أطروحته في عدم وجود نواة ثابتة للهوية الشخصية لا تتغير[٢]، إن الخيال هو الكفيل بتشكيل الهوية السردية في النص المدروس، وما التاريخ إلا داعم لرؤية الكاتب وتشكيله ليوهم بالواقعية، ومن

---

(١) نادر كاظم: الهوية والسرد، دار الفراشة ، الكويت ، طـ٢ ، ٢٠١٦ ، ٧٠.

(٢) ينظر: بول ريكور: الذات عينها كآخر، ٧٠.

الجدير بالذكر أن مفهوم "الهوية السردية" لدى "بول ريكور" ارتبط بأدب الاعتراف والسير ذاتي، حيث تسرد الذات ذاتها أي الأنا/الآخر، الأنا في تاريخيته وهو يعرض أناه الذي كان في سياقه التاريخي، فلا سرد بلا زمن، ولا زمن بلا تاريخ.

واستخدام مفهوم سرد الهوية / الهوية السردية في الدراسة خرج عن إطار تصور"ريكور" إلى مجال أوسع، من إطار أدب الاعتراف أو السير ذاتي إلى كل سرد لا سيما ما توسل بمهاد تاريخي، فيمكن عد الشخصية الرئيسة بالرواية في بحثها عن هويتها رمزا لكل مصري باحث عن هويته.

لقد قُسِّمت الهوية السردية التخيلية إلى نوعين؛ الأول: يتعلق بالحكي التقليدي، واصطلح على تسميته بـ"الهوية التأكيدية"، بينما يتوفر الثاني في الحكي الحديث، وأطلق عليه "الهوية المجاوزة"، فالأول: يسم المفرد بسمات محددة في علاقته بالمجموع، بينما الثاني: يعمل على إظهار إمكانات مغايرة للذات السردية تبدو أكثر ملاءمة لشخصه عما يفرضه عليه مجتمعه(١)، والنوع الأخير ظهر في شخصيتي "أيوب" و"شارل" اللذين مثلا "المرسل" في كثير من البرامج السردية ، فكانا موجهين أو مُطِّوعين لذوات الفعل للإقناع بـ "ماهية الهوية المصرية"، وظهر ذلك بجلاء شديد في العرض/الحوار الذي غلب المقاطع السردية في الرواية من حيث الكم، ثم كان أكثر وضوحا في استخدام الإقناع والحجاج فيما يتعلق بموضوعة "الهوية المصرية" عبر الملفوظ السردي.

(١) ينظرعبد الرحيم جيران، "الهوية والسرد" ، فصول ، العدد٨٧ ،٨٨، ٢٠١٣، ١٢٣.

٢- وجهة النظر من السرديات الكلاسيكية[١] إلى السرديات التلفظية

إذا كان حجاج وجهة النظر وتوجيهها مهما في الإقناع بالهوية القطرية لمصر بوصفها مكونا رئيسا وأوليا من مكوناتها، فكان للإطلالة على طبيعية وجهة النظر، وتطورها من السرديات الكلاسيكية إلى السرديات التلفظية مفيد للبحث، ويعد تحليل وجهة النظر من أهم الإنجازات السردية في القرن العشرين، وهي حقا أهم تقنيات السرد وأكثرها إثارة للجدل وتصنيفا للمقاربات السردية بالتقليدية أو الحداثة، فمن ارتباط بالمؤلف وتحكمه في النص السردي، وصيغ نقله إلى الكاتب الضمني، ووضع مسافة بين الكاتب في عالم الواقع أو الخارج نصي.

ووجهة النظر مصطلح استخدم مرادفا للرؤية والتبئير غير أنه ينماز منهما بالبعد الدلالي فضلا عن الشيوع[٢]، إذ يصف طبيعة الصوت السردي ونوعه وتحولاته، كما يصف الصيغة التي تقدم بها الأفكار والأحداث وكلام الشخصيات[٣]، وقد مالت دراسات وجهة النظر في البداية في إطار رؤية السارد عبر تتبع الضمائر، وعدها قاطعة ذات دلالة واحدة فيما يقدم من رؤى، حتى كان واين بوث، وجينت الذي فرق بين من يرى ومن يتكلم؟، مؤذنا بتعدد الرؤى وإن اتحد الضمير[٤].

---

(١) السرديات الكلاسيكية هي السرديات التقليدية التي قاربها جينت والبنيويون والسيميائيون، فقد حاول البعض تجديدها للخروج من إطار المحايثة مثل رابتال فكانت السرديات التلفظية التي تعلن عدم اهتمامها بمن يدرك/ المبئر في حد ذاته، وإنما بالتجليات اللغوية للإدراك؛ لذلك يمكن عدها تماسا بين اللسانيات والسرديات، لكن على مستوى التحليل السردي أراها ظلت في إطار النص لم تخرج إلى المراجع الخارجية أو السياقات، أو بعبارة أخرى ظلت الإحالة فيها داخلية.

(٢) ينظرمحمد القاضي وآخرون، معجم السرديات،٤٦٩.

(٣) ينظر مارك كوري، نظرية السرد ما بعد الحداثية، دار شهريار، بغداد، ط٢ ٢٠٢٠، ٢٤،٢٥.

(٤) ينظر: منصوري مصطفى، سرديات جيرار جينت في النقد العربي الحديث، رؤية، القاهرة، ٢٠١٥، ٢٥٢-٢٥٤.

ثم حاول "رينيه ريفارا" تطوير السرديات الكلاسيكية إلى السرديات التلفظية، وهي سرديات ذات أساس لساني خالص، فهو يقصد الانتقال من المدرِك إلى المدرَك، وفيه يحدث الانفصال التلفظي بين السارد والمدرِك؛ لتبرز وجهة نظر الشخصية؛ وذلك لتأكيد تلفظية المحكي التخييلي، فاعتمد على مقولات: الزمن، والراوي، والمسافة، والتبئير لتصوير حركة الراوي داخل النص الأدبي واختياراته فيه.(١)

إن الكاتب الضمني هو مخرج العمل الذي يحرك كل تقنيات السرد؛ فلا يكون النظر إليه بوصفه تقنية سردية فحسب، بل هو وسيلة وآداة لإخراج العمل التخييلي، فكل الانتقاءات السردية تحيل إليه أولا وأخيرا، لذلك يمكن أن تعد كل اختياراته ذات بعد تداولي له تأثيره في فتح السرد على أبعاد المعنى ومراميه(٢).

ولعل الوظيفة التوجيهية للراوي، وهي تتعلق به_مشاركا كان أو خارجيا– بوصفه مدركا لا مجرد متكلم(٣)؛ كانت داعيا لتفريق "رابتال" بين مصطلحات أساسية في هذا النطاق من قبيل المتكلم/ التخييلي، والمتلفظ/ المبئر/ المدرك، والذات المتكلمة / التاريخي، فأما الأول: فيقصد به الراوي، والثاني: فهو من يلفظ ويدرك، وأما الأخير: فهو الروائي(٤)، وقد استمد رابتال فكرته من ديكرو الذي يبدو قد حاول تقريب مفاهيمه الثلاثة بالاعتماد على جينت، فهو أول من فرق بين

---

(١) ينظر: سيدي محمد بن مالك" السرديات من الملفوظ إلى التلفظ"، مجلة بحوث سيميائية، م٨ ع١٤، جوان ٢٠١٩، ١٦، ، ينظرمحمد القاضي وآخرون، معجم السرديات،٤٦٩–٤٧٢١٣.

(٢) ينظر: محمد نجيب العمامي، الذاتية في الخطاب القصصي، دار محمد على للنشر ،كلية الآداب بمنوبة، تونس،٢٠١١، ١٣.

(٣) ينظر:محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي، تونس،٢٠١٠ ،٤٧٤.

(٤) ينظر: محمد نجيب العمامي، في تحليل الخطاب السردي، دار المعرفة للنشر، تونس، ٢٠٠٩ ، ٢١، وينظر:محمد نجيب العمامي، الذاتية في الخطاب القصصي، ٢١، ٢٢.

الصوت والصيغة أومن يدرك؟ ومن يتكلم؟، فالمتلفظ هو نفسه الرائي أو المدرك لدى جينت، فوجهة النظر تركز على ذاتية المدرِك التي تظهر في أوصافه وتوجيهاته وتعليقاته ومواقفه وعواطفه[١] التي تنقلها الملفوظات اللغوية مع مراعاة الفصل بين من يدرك ولا يتكلم، أو يتكلم ولا يدرك، فالمحك هنا على وجهة النظر المحاجة أو الموجِّهة من يقدمها هل المدرِك؟ أو المتكلم الذي ينقل راويا كان أو شخصية مشاركة؟

٣-مداخل السرد:

مداخل السرد أو عتباته تلك التي تسير في خط مواز للفعل السردي في الحكاية، متقاطعة وإياه في حمولة دلالية مشتركة، وأهمها العنوان، ثم الإهداء، ثم المقتبسات التاريخية.

أ-العنوان

"الأزبكية" عنوان الرواية النص الموازي الأول الذي يشير إلى تقنية الفضاء، والذي يشكل مكان جل الأحداث الروائية، ويشير إلى مصر/الوطن بحسب الزمن الداخلي للسرد، ويأتي العنوان مصحوبا بلوحة للأزبكية على الغلاف، فالعنوان" الأزبكية" استبداليا = القاهرة فيما يتعلق بالزمن الداخلي للأحداث، فهو فضاء معظم الأحداث التي تدور في الرواية مرتبطة بمدارها الأساسي وهو الإقناع بالهوية القطرية المصرية، ليعطي إشارة إلى أن الزخم فيما يتعلق بالأحداث الكبرى يدور في محل الحكم.

ب-الإهداء

وهو وإن كان هنا خاصا فإنه يتقاطع موضوعه وتيمة السرد الرئيسة.

(*إلى الذي علمني فضيلة عشق الوطن*

---

(١) **ينظر:محمد الناوي،"السرديات التلفظية والنقد المحايث"، مجلة فكر العربية، س ، ع ٤،٥، ٢٠١٧، ٤.**

إلى ذكرى أبي)[1].

الإهداء خاص لوالد الكاتب يرد في صفحة منفردة بعد صفحة تحمل العنوان(الأزبكية)، فكأن العنوان استبدالي "مصر" تليها قيمة "عشق الوطن" في نص مواز مهدى احتفاء إلى ذكرى معلِّم هذا العشق، فالوطن بالإحالة "مصر"، والوطنية فضيلة تكتسب تعليما "السلف للخلف" بني "مصر" وأهليها بكل مكتسباتهم التاريخية والحضارية والدينية واللغوية، جاعلا القطرية (الأزبكية/مصر)، حجر الأساس في أصل الهوية المصرية.

دوال الإهداء الأساسية (أب ــ ابن ــ وطن ــ حب الوطن) تحمل ملفوظا سرديا محققا في الواقع ، وهو يناظر مثيله التخييلي للشخصية الرئيسة في السرد قابلا للتحقق أو الإنجاز.

ملفوظ الإهداء: فاعل + فعل

أب + يعلم ابنه الوطنية أصل هويته (حب مصر).

ملفوظ السرد: أيوب + يبحث عن هويته ويقنع بالهوية القطرية.

إن البحث تفتيش وطلب، والتعلم طلب المعرفة، وكلاهما منصب على معنى الوطني، فالتماس والتداخل بين الإهداء والعنوان جلي، فقد اشتركا في تلك القيمة، كما أن المسند إليه في كلٍ مصري أصيل يحترف الكتابة–النسخ (ناصر عراق– أيوب الشخصية الرئيسة وأحد الراوة في السرد).

ج- مقتبسات وثائقية تاريخية قبل السرد:

ورد بعد الإهداء مقتبسات من مصادر عدة شملت ست صفحات من الفضاء النصي للرواية، جمعها الروائي بعد الإهداء، وتدور كلها حول الفترة التاريخية التي وقعت فيها أحداث الرواية منها: "مذكرة غزو مصر" من كتاب "بونابرت في مصر"، جاءت على لسان بونابرت موجها خطابه للمصريين وجنوده مطمئنا

(١) رواية الأزبكية، ناصر عراق، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٦، ط٣، ٥.

ومطمعا على الترتيب، ثم مقتبس لكليبر ومينو، يتبع بمقتبس "من مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية" يصف تردي البيئة المكانية في مصر جمالا ونظافة، وهي إشارة اشتشرافية قبل بدء شرارة السرد لضرورة التغيير والمثاقفة، ثم مقطع من "وصف مصر" يثني على تسامح المسلمين مع غيرهم إلا من إشارة لجشع الأتراك وعنصريتهم وهو ما يتماشي مع توجيه الحجاج كما سيرد للقطرية، يلي ذلك نص للجبرتي يعبر عن انبهاره بالمصاحبين للحملة الفرنسية من فنانين وعلماء، وهو يسير في اتجاه قبول المثاقفة، وتختم المقتبسات بمقتبسين من كتاب" الفرعون الأخير": الأول، لعمر مكرم يرحب بمحمد علي حاكما لمصر، والأخير لمحمد علي مخاطبا الإنجليز١٨٧٣[١] بعدم جواز المقارنة بين مصر وأوروبا مبررا الفرق الكبير بين عالم الغرب بعلمه والشرق بجهله، والملاحظ أن المقتبسات كلها تسير في اتجاه طولي يوازي الحكايةن وما ورد فيها من حجاج يوجه نحو الإقناع بمكون الهوية الوطنية مع ضرورة المثاقفة ولا تناقض بينهما بشكل كرونولوجي.

٤- الحجاج عبر وجهة نظر الراوي

يعنى البحث بتتبع وجهة النظر في رواية "الأزبكية" في إقناعها بالهوية القطرية، واكتشاف المكون الأساسي للهوية في النص يعد مظهرا من مظاهر التأويل عند القارئ الذي قد يجد نفسه في بطل الرواية، فمتابعة الراوي الأول الصريح/شخصية البطل الرئيس المصري"أيوب" ووجهة نظره تتغير وتتبدل حول مفهوم الهوية المصرية وضرورة المثاقفة، وذلك بتتبع الراوي(أنماطه وأنواعه) عبر الرؤيتين الداخلية والخارجية اللتين تتعاوران على إنتاج النص، وما تقدمانه من وجهتي نظر متغايرتين من الرواة إلى الشخصيات بأنماطها المختلفة مصرية كانت أوغير مصرية، وتحديد وجهة النظر عبر ذات الإدراك أو المتلفظ، والتمييز بينه وبين الذات المتكلمة(من يرى ومن يتكلم) بعبارة جينت، وتحديد مناسبات وجهات

(١) ينظر: ناصر عراق، رواية الأزبكية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٦، ط٣، ٧-١٢.

النظر، واختيار زمانها ومكانها ومقاصدها كل ذلك حقيق بالوقوف على الهوية المصرية والإقناع بها عبر السرد من خلال وجهة النظر وما تحتمله من حجاج مباشر وغير مباشر، وتعد العملية السردية (الصوت) لب النص السردى، لأنها تتعلق بإيراد طريقة السرد أو بمعنى أدق طريقة تقديم أوعرض السرد، وتتعدد الأصوات داخل (الأزبكية) لكن الصيغ تأتى مرة على لسان السارد الخارجى ومرة على لسان سارد داخلى هو أيوب أو شارل، فتوزعت الرؤية بين خارجية للراوى بضمير الغائب، وداخلية لكل من أيوب وشارل، وذلك يلائم تعدد الأصوات فى النص الحجاجى.

وجهة النظر هي التقنية الأكثر ارتباطا أو حساسية فيما يتعلق بموضوع السرد، وإن حاولت الأدبيات البنيوية أن تبعد الدراسة السردية عن الأيديولوجي، فالسرد– برأيي– هو توجيه نحو رؤية أو وجهة نظر ما بغض النظر عما يحمله المصطلح من استعارة بصرية تبعده عن اللساني وتقربه من البصري، لكنها تظل استعارة ولا غضاضة فالسرد كله قائم على التخييل، وسيظل النثر عامة والسرد خاصة هو الأقدر والأجدر على تحمل الرؤى والأفكار، ولا يكون ذلك غفلا من التأثير والإقناع قليلا كان أو كثيرا، مباشرا أو غير مباشر، لقد تسلل إلى السرديات انطباعا بأن المتخيل هو عملية جدلية تتقنع وراء تقنية الراوي أو وجهة النظر، وهو ما ذهب إليه "بوث" الذي مال في "بلاغة الرواية" إلى كون وجهة النظر يتم فيها التحكم حجاجيا عن طريق الاستمالة[١]، إذ نصَّ في مقدمة الطبعة الأولى لمؤلفه على كون القص فنا من فنون التواصل، وأن الكاتب الضمني يمارس طرقا مختلفة للسيطرة على القارئ[٢]، فيصرح: بأن البحث في وجهة النظر غايته البحث عن التأثير الأدبي[٣].

---

(١) ينظر مارك كوري، نظرية السرد ما بعد الحداثية، ت.السيد إمام، ٢٥.

(٢) ينظر واين بوث، مقدمة بلاغة الرواية، ت.أحمد خليل عردات، علي بن أحمد الغامدي، مركز البحوث كلية الآداب.جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٤.

(٣) ينظر واين بوث، السابق،١٨٦.

وقد انقسمت الرواية إلى قسمين معنونين بـــ: القسم الأول: ويمتد من يوليـــو ١٧٩٨- يوليو١٨٠١، والقسم الثاني: ويمتد من يوليو ١٨٠١- نوفمبر١٨٠٥، وقد سُبق القسمان بجزئين يمكن أن نطلق عليهما مدخلين، وهما معنونان كسائر أجزاء الرواية داخل القسمين الأول: بـــ" أيوب ليلة زفافي، ١٢مـــايو ١٨٠٥، والثـــاني: بـــ"ـــشارل مازلت بالقاهرة أقيم ١٢ مايو١٨٠٥، ومن الواضح من تاريخ الجزئين أنهما يمثلان مدخلا قبليا يأتي بقرب نهاية الحكاية برؤية داخلية ثنائية على لســـان الراويين المشاركين بضمير المتكلم(أيوب المصري، شارل الفرنسي)؛ لتكون بذلك الرواية متداخلة البنية الزمنية، بدأت بحدث ترتيبه قريب نهاية الحكايـــة، بالحـــدث الأهم في رؤية الكاتب الضمني(تولي محمد علي حكم مصر)، وليمثل المدخلان- خصوصا الأول- بعدا حجاجيا واضحا يكشف عن تثوير الهوية في النص، واختيار الإقناع بالهوية الوطنية مكونا رئيسا ومقدما على سائر مكوناتها كما سيرد.

إن سؤال من يتكلم ذو أهمية بالغة في الدراسات السردية عموما، ثم التداولية خصوصا فلتحديد "هوية المتكلم وموقعه السردي كما لو تعلق الأمر بمـــتكلم فـــي وضعية تداولية تؤطرها الحياة الواقعية"(١).

إن حجاجية السرد لا تقتصر على الأحداث وتتابعها (سيمياء السرد)، وإنمـــا من خلال البنى الخطابية(سرديات الخطاب) من حيث امتـــزاج الحجـــاج وتقنياتـــه بتقنيات الخطاب(الراوي -الصيغ السرية-الزمكانية).

الإقناع ووجهة نظر الراوي الداخلي

فرق جيرار جينت بين الرؤية الداخلية والخارجية، ومن بعده جاء رابتال في السرديات التلفظية مفرقا بينها (ثنائية الرؤية الداخلية /الخارجية) بالتوازي مع ثنائية الحكاية/القصة؛ فالأولى أي الرؤية الداخلية التي تخص أفكـــار الشخصـــيات فـــي مستوى الحكاية (٢)، تتمثل في النص المدروس في رؤية الراويين الداخليين أيـــوب، وشارل.

(١) ألفي بولان، المقاربة الداولية للأدب،ت.محمد تنفو، ليلى أحمياني، رؤية،القاهرة،٢٠١٨، ١١٠.

(٢) ينظر محمد نجيب العمامي، الذاتية في الخطاب السردي، ٥٣.

إن اختيار الكاتب الضمني لراويين داخليين ممثلين لطرفي المعادلة(الجنسية المصرية، والجنسية الفرنسية): مصري/ فرنسي يعطينا إشارة إلى رغبته في الإتيان بالرؤية الداخلية وتوسيعها تلك الممنوعة على الراوي الخارجي/ الغفل في عدم إمكان النفاذ إلى الخفايا إلا مع وجود الراوي شخصية مشاركة فضلا عن ذاتية إحالتها ومحدودية العمق(١)، ويرى "واين بوث" أن في اللجوء إلى راو داخلي، أو عدة رواة مشاركين قوة بلاغية تعطي امتيازا للرواية، وتختال القارئ بنقل الرؤية عبر راو مشارك يخول له وجوده السردي الاقتراب من الأحداث، وانفتاح المعرفة التي تعفي الراوي العليم من فرض هيمنته الظاهرة على السرد، وقد يضطره ذلك إلى مسرحة السرد(٢) كما في النص المدروس.

والمدخل الأول للسرد المعنون بـ" أيوب ليلة زفافي" يشير إلى أمرين:

الأول: ذات التبئير/ المتلفظ والرواي الداخلي الممثل للطرف المصري في آن؛ إذ بدأ بـ" النعيم بين يدي..." (٣)، فأحال الضمير إلى الذات المدركة/ أيوب المحددة بوسم صريح في العنوان، وفي متن الجزء نفسه:"افتح يا أيوب"(٤).

الثاني: زمن الحدث زفاف أيوب ١٢ مايو ١٨٠٥، وهو زمن يقترب ونهاية الحكاية، فاختيرت النهاية شبه البعدية بدقة لتولي الحدث الأهم في الحكاية- تولي محمد على حكم مصر- العناية والتركيز السردي، وهو ما يمَكِّن المتلقي أن يؤول العنوان بجوار التاريخ إلى:(أيوب/ ليلة زفافي – تولي محمد على حكم مصر ١٢/ ٥/ ١٨٠٥) إلى: (زفت مصر إلى محمد علي ١٢/ ٥/ ١٨٠٥)؛ فكأنه حجاج ضمني منذ العنوان يؤيده وجهة النظر المحاجة في نهاية الجزء نفسه.

---

(١) ينظر محمد نجيب العمامي، الذاتية في الخطاب السردي ، ٦.

(٢) ينظر: واين بوث، مقدمة بلاغة الرواية،١٨٧،١٨٨.

(٣) ناصر عراق، الأزبكية، ١٣.

(٤) ناصر عراق، السابق، ١٥.

إن توزيع الأحداث كتوزيع ظهور الشخصيات في السرد له دلالاته، فأن يقفز حدث متأخر في الحكاية قريب من نهايتها إلى بداية الخطاب ليكون الأول فيه، هو اختيار سردي للكاتب الضمي له أبعاده، ففي ختام هذا المدخل الأول نجد الحدث الرئيس الذي ساقه الراوي "زفاف أيوب" مناسبة خلقها ليخلق فرصة يسوق رمزا ومباشرة من خلالها وجهة النظر الداخلية/ لشخصية أيوب ورفيقه علي، خاصة وقد استغرق إدراك هذا الحدث الصفحات الثلاث وبعض الصفحة، ما يمثل ٩٥% من مساحة الجزء، عبر قنوات إدراك مختلفة سمعية وبصرية وذوقية ولمسية تمثل تصويرا إيجابيا لحالة من السعادة الغامرة يمكن تأويلها رمزا لمصر كلها، وقد عمها الفرح برحيل الفرنسيين عنها، فإذا بالحدث ينقطع لينقلب العرس/ الحقيقي والرمزي مأتما:" *أضاف بتوتر*:" دعك من هذا ..*حدثت مصيبة الليلة*". قبضت بكلتا يدي على كتفيه وصرخت: "ماذا؟. *تهاوى على الأرض*، وقال *يائسا*:" ذهب السيد عمر مكرم والشيخ عبد الله الشرقاوي ومحمد أبو أنور السادات قبل قليل إلى بيت الضابط محمد علي بالأزبكية طالبين منه أن يقبل بتولي حكم مصر". *صحت مرجرجا كتفيه بعنف*:"*يا نهار أسود.. أرناؤوطي يحكم مصر..كيف؟*"(١)

مثلت الجملة الحوارية المباشرة الأخيرة دعوى منطقية، هي الدعوى نتيجة الحجاج(٢)، وقد نصت على الدعوى صراحة، وهدفها استمالة المصريين إلى تقديم الهوية الوطنية على سواها، فوجهة النظر جاءت قسمة بين ذات الإدراك شخصية الصديق "علي أبو حمص" في وصفه للحدث:" *حدثت مصيبة الليلة*" ، والراوي الداخلي "أيوب"، فالأول ورد وسمه صريحا حين ناداه الراوي الداخلي/ أيوب ليستعلم عن الطارق في ليلة زفافه، ووجهة نظره المنقولة نقلا مباشرا وضعت بين الأقواس، وقام الراوي الداخلي/ أيوب بتأطيرها بالتعليق، ووصف حال ذات

---

(١) ناصر عراق، الأزبكية ، ١٦.

(٢) ينظر محمد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ج٢، عالم الكتب- جدارا للكتاب العالمي، عمان، ٢٠١٠، ٧.

الإدراك وصفا يصور عوارض وجهة النظر عليها:(بتوتر-تهاوى على الأرض-يائسا)، وقناة الإدراك هنا البصر، وجاء تعليق الراوي الداخلي المباشر الذي ختم هذا المدخل للجزء الأول بوسم مباشر معروض[1] لوجهة نظر الراوي الداخلي _الذي سيتواتر مثيله بالسرد_عبر حكم قيمي في مدار خطاب الشخصية/ حكم مصر من غير مصري، وتجلى هذا التقويم في تعليقه الأخير في: استخدام النداء، والوصف، والاستفهام التعجبي، وما صحب التعليق من وصف معبر عن فداحة الخطب مدرك عبر حاستي البصر والسمع(صحت- مرجرجا).

إن التعليق المبكر في الخطاب السردي للراوي الداخلي/ أيوب لمّح بتقديم وجهة نظره القيمية تجاه/ مدار الجزء/ حكم مصر، ما يشير إلى الاعتزاز بالهوية القُطرية منذ مفتتح الخطاب السردي.

لقد اتفقت وجهة نظر الشخصية علي أبو حمص_ هنا في هذا الحدث المتقدم في الخطاب، المتأخر في الحكاية، بعد ممانعة ومحاجة وإقناع في بداية الحكاية- مع الراوي الداخلي/ أيوب في الاعتداد بالمكون القُطري في الهوية وتقديمه عما سواه من مكوناتها.

وستأتي رؤية الراوي الداخلي الثاني الممثل للمحتل/ شارل مفاجئة لأفق التوقع، فتسير في الاتجاه ذاته في ضرورة حكم الأوطان بأيدي أبنائها، بل كان هو المحفز والداعي لهذه الرؤية ممثلا ذات التحريك لدى شخصية أيوب/الراوي الداخلي الأول الممثل للأنا المصري، وقد عرضها السرد بطريقة ممسرحة في حوارات الراوي الداخلي مع الشخصيات، أيوب/ المصري مع رفاقه المصريين من جهة، وشارل مع أيوب، ثم مع الملازم فرتراي، وكابتن مواريه/ الفرنسيين من جهة أخرى، وقد جاءت هذه الرؤية ذات الحوار المباشر أو غير المباشر الحر عبر الراويين بضمير المتكلم/المصري والفرنسي خاصة اختيارا سرديا عمد إلى تقبل

(١) ينظر محمد نجيب لعمامي، محاضرات في السرد، النادي الأدبي بحائل، الرياض، ٢٠٢٠، ٥٥.

أكثر إقناعا بوجهة النظر المعروضة-وفقا لبوث- مما لو قدم على لسان الراوي الخارجي[١].

وجهة نظر الراوي الخارجي/ الغفل:

ينقل الراوي الخارجي/ الغفل رؤيته من خلال خلق مناسبات لوجهة النظر، واختيار ذوات إدراك أو أعوان سردية ملائمة لها-بمصطلح سرديات التلفظ-، فالمناسبات أوجدها في أماكن القاهرة التي تطرقها شخصيات لم تعاينها من قبلها، والذوات المدركة تلك اختارهم من الأجانب /الفرنسيين الذين يروون مصر لأول مرة، فالذات المدركة الأولى الأول هي شخصية (الملازم فرتراي) الشخصية الضد للراوي الداخلي/ شارل:(سمع كلاب عصبية لم ير منها شيئا. تساءل متعجبا:" كلاب في عز الظهيرة؟". انعطف يمينا بجوار الجامع الأزهر...امتعض من رائحة القمامة التي تفوح في الحارة الضيقة، ...تابع بعينيه هرولة طفلين من مسافة ليست بعيدة. هاله منظرهما البائس والذباب الملتصق بوجهيهما. أقبل نحوه رجل مسن، منهك القوى، حافي القدمين، لا يعرف من أي مقبرة بعث...تساءل:" أين البشر؟ أين السحر المزعوم؟"[٢].

الملازم نقل الراوي الغفل إدراكه عبر السمع والبصر والشم لينقل وجهة نظره في عدم نظافة القاهرة إبان الحملة الفرنسية، ثم يؤكد ذلك بخطاب منقول مباشر، استخدم فيه دوال الاستفهام الاستنكاري بالإضافة لتكراره، وهي وجهة نظر تتكرر عبر الذات المدركة ذاتها مع تنويع الحواس بطول الجزء المعنون بـ" الملازم فرتراي"، وهو ولم ينفِ سحر وحضارة مصر فيما سمع، وهو يشير إلى مقارنة ضمنية بين ما يراه في مصر وما اعتاده في موطنه بأوروبا، ما يجعل الذهن يستدعي ضرورة المثقافة، ويدعو إلى اللحاق بركب الحضارة، واستعادة المكانة، وقد جمع بين وصف المكان والحالين فيه، فلا انفصال بين المكان وأهله.

---

(١) ينظر مارك كوري، نظرية السرد ما بعد الحداثية، ٢٧.

(٢) ناصر عراق، الأزبكية، ٢٤.

وتعرض الرؤية نفسها في جزء "سهرة فرنسية في الدرب الأصفر" من خلال شخصية "كابتن مواريه" عبر حوار مباشر:"لقد عبرنا بلدانا ومدنا وموانئ كثيرة لكنني أؤكد لك أن بؤس مصر وأهلها لاشبيه له!" (١)، وفيه بعد حجاجي ما دامت القاهرة قد فقدت سحرها؛ فلابد من التطور، وهما في المثاقفة أو الأخذ من الآخر لتشتبك هذه الرؤية مع النصوص الافتتاحية مباشرة في النص المقتبس من" مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية"، ونصي الجبرتي ومحمد علي المشتم منهما ضرورة المثاقفة ومزج الهوية برياح الغرب المتطور، دون ذوبان تام في الآخر أو تشويه، وهو ما ذهبت إليه دراسة سابقة للرواية (٢).

وهذا البعد الحجاجي للمكان يظهر مع الراوي الخارجي مرة أخرى ناقلا من خلال إدراك شخصية "شارل" المناسبة لذلك بوصفه فرنسيا كسابقيه؛ لإجراء المقارنات المحتملة التي تمثل حجاجا ضمنيا، فقد وصف الثراء والبذخ في منزل"إيواظ" بك قائلا:"...هذه ثاني أو ثالث مرة يدخل فيها الرسام الفرنسي دار إيواظ بك الفسيحة والقريبة من حمام السلطان. وفي كل مرة يتعجب من حجم الثراء المبثوث في أرجاء الدار..تحف..رياش..ثريات تتدلى سجاد عجمي... وكم ود لو يسأله كيف تقبل الإقامة في هذا النعيم بينما أكوام القمامة وجيوش الذبابة تبعد عن الفردوس أقل من عشرة أمتار؟"(٣)، فالمحكي التأليفي هنا عرض ما وقع مرات مرة واحدة لضرورة التلخيص وإقامة الحجاج؛ فالمفارقة في الثراء الفاحش داخليا على مستوى الفرد/ إيواظ بك مع الفقر المدقع على المستوى الجمعي التفت إليه الراوي الخارجي في وصفه المكان عبر عاكسه شارل، فلفت نظر القارئ عبر السرد التأليفي للزمن، فوصف المكان والاستفهام الاستنكاري في نهايته كفيل بإحداث المفارقة والتوجيه لضرورة التغيير.

---

(١) ناصر عراق، السابق ، ٤٠، وينظر ١٣٢،١٢٣.

(٢) ينظر عادل درغام، الرواية التاريخية رواية الهوية الأزبكية لناصرعراق،١٧٦.

(٣) ناصر عراق، السابق، ٢١٦.

ومن ذلك الإشارات المتعددة للراوي الخارجي بطول النص لانتشار الظلام في أحياء الأزبكية/ حاضرة الحكم(١).

ومن ذلك ما عرض من خلال شخصية "فرانسوا" أخت شارل الفرنسية، في مفارقة تنقل حجاجا بالمقارنة بين جمال المكان وتوفر إمكانات الحضارة/ مصر وقت الحملة الفرنسية، وبؤس ساكينها وتخلفهم حضاريا: " امتطى شارل حصانه الأبيض وجلست خلفه شقيقته... استقلوا معدية عبرت بهم النيل، ثم أكملوا في اتجاه سكة الهرم، طوال الرحلة تلقى الركب نسمات منعشة... وهللت فرانسوا لموكب أشجار الجازورينا الضخمة المنزرعة على حافة الترعة التي يسيرون بمحاذاتها...وألقت أسئلة كثيرة كلما شاهدت البيوت الطينية أو بعض الحيوانات ترعى أو فلاحي الحقول.. باندهاش تسأل:" من هؤلاء؟ وماذا يفعلون؟ ولماذا لا يستحمون؟ وكيف يتركون أطفالهم هكذا شبه عرايا وحفاة"(٢)

فيبدو أن الراوي الخارجي صاحب عيني فرانسوا، فهي الجديدة على المكان والصحبة، يؤيد ذلك تعليقات الراوي معها خاصة(هللت- ألقت الأسئلة)، والوصف المكاني ختم بالاستفهام المكثف المعجب من عظم المفارقة بين حال المكان وأهله، ما يحوي حجاجا ضمنيا بضرورة تغير حال أهله.

ولا نعدم تدخلا من الراوي الخارجي ببث مباشر لرؤيته عبر التعليق حول طبيعة المدن الساحلية الكزموبلوتانية ما يتوافق ورؤية المثاقفة: "استقبل أيوب هذه الآراء بروح وثابة وعقل متوقد، فلما هبطا من المركب في رشيد ظن أن الأيام التي قضاها فوقه هي أسعد أيام حياته... وهكذا غرقت دروس السياسة وتلاشت مواعظ التأمل في بحر العينين الزرقاوين، فلم ينتبه أيوب إلى أن رشيد مدينة تضج برجال

(١) ينظر ناصر عراق، السابق ٢٧٤، ٢٧٥.

(٢) ينظر ناصر عراق، السابق ٢٧٩.

جاءوا من اليونان وصقلية وروما وملطة وفرنسا ومدريد، استوطنوا فيها ليتاجروا ويبيعوا ويعملوا..." (١)

٥-الحجاج فى حوار الشخصيات:

الحوار يحمل حمولة حجاجية، فيحاول المحاور حمل محاوره إلى الاقتناع بوجهة نظره، ويتطلب الأمر منه أن يراعى صورة هذا الأخير في ذهنه بما يعلمه عنه خلال المصاحبة أو ما جمعه عنه إجمالا، فـ "شارل" الفرنسي وهو يحاول إقناع "أيوب" بأن "الهوية الوطنية" هي أصل الانتماء، ومقدمة على سواها من الدين أو الجنس، يضع في ذهنه طبيعة المسلم الشرقي الدينية التى تعتبر القيمة الأولى للدين؛ لهذا بدأ معه الحوار هادئا مراعيا تلك المواصفة للشخصية، وهو ما نهجه "أيوب" بعد ذلك في حواراته مع عصبته المقاومة، فقد وضع نصب عينيه احتفاءهم بدينهم وأصول دراستهم في الأزهر الشريف، مع ما خبره من طول صحبتهم من حساسية الاقتراب من هذا الأمر شبه المقدس لديهم المحفوف بسلطة الدين، كما أن المحاوَر أو المحاجَج تُرسم له صورة عبر حواراته المباشرة أو ما يرويه السارد عنه مشكلا صورة الإيتوس أو الذات التي يكونها عبر السرد والحوار؛ لتقنع السامع المقصود بذلك[٢]، فحينئذ تراعى صورتا المحاوَر والمحاوِر بدقة معينة، خاصة والمحاوِر فرنسي يتقبل المحاوَر كلامه بحذر الأنا من الآخر المغاير له دينا ووطنا ولغة.

٥-١حوارات أيوب وشارل/المصرى والفرنسى وصراع الهوية الذاتية والهوية العينية:

صورة "أيوب" لدى "شارل" كانت المحفز لمحاولات الإقناع بالهوية الوطنية، ففي مطلع الرواية بعد الإهداء والمقتبس من الوثائق التاريخية المختلفة، ورد

---

(١) ناصر عراق، السابق، ٢٥٨.

(٢) ينظر باتريك شارود مانجنو، معجم تحليل الخطاب، ت.عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناترا- المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨، ٢٣٠،٢٣١.

جزءان –كما مر–على الترتيب معنوين باسم الراويين الداخليين، والبطلين الأكثر حضورا على الفضاء النصي: أيوب، وشارل، الممثلين لثنائية الأنا والآخر (العربي والغربي/ الفرنسي) لكن المفارقة هنا أن الآخر/الغربي هو الذي يمثل المحفز أو ذات التحريك أو التطويع التي تدفع الأنا/العربى/أيوب إلى الاقتناع بأولية أو تقديم الهوية الوطنية/القطرية على سائر مكونات الهوية (العقيدة/اللغة/الجنس).

يتجلى صراع الهوية الذاتية والهوية العينية لدى "أيوب" من خلال حواراته مع " شارل"، ويمثل الحوار المباشر الجزء الأكبر في السرد المنوط بلقاءات شارل وأيوب، كما أن الحوار لدى "شارل" هو الأكبر حجما على مساحة الفضاء النصي؛ لأن الحقل الذي يجري فيه الحجاج[١] يشبه الحقل "الأكاديمي"، وفيه يبدو "شارل" كالمعلم لـ "أيوب"؛ لذلك سيظهر جزء كبير من النص فيما يجمع الشخصيتين في شكل حواري.

اتبع "شارل" فى حواراته مع "أيوب" الاستراتيجية التضامنية التي ظهر من خلالها الود في الحوار، وكان اللقاء الحواري الأول في جزء معنون بـ "بونابرت في الدرب الأصفر" وفيه تم التعارف بين الشخصيتين، وبدأ الحوار حينما أشار "أيوب" إلى صورة بونابرت باستياء ثم قال "بامتعاض: "لا تغضب مني... أنا أكره بونابرته"[٢] ، وكان الرد موافقا حتى أن المصري شك بأن الفرنسي/شارل يستدرجه فقال: "وأنا أيضا أكرهه"[٣].

ثم تلي هذا الحوار حوار توجيهي كان أكثر وضوحا في تقديم الهوية الوطنية، ففي جزء استرجاعي بعنوان (العلم العثماني)، وقد هرع "أيوب" إلى "شارل" في حقل شبه أكاديمي، مثل فيه الأخير دور "المعلم" عبر استراتيجية التوجيه:

---

(١) الحقل مفهوم لـ"أموسي" يعنى مجال نشاط اجتماعى (سياسى ـ قضائى ـ أدبى ـ أكاديمى ...) ينظر محمد نجيب العمامي، في تحليل الخطاب السردي ، ٩٣.

(٢) ناصر عراق،رواية الأزبكية، ١٦٨.

(٣) المرجع السابق نفسه.

- "الحمد لله يا خواجه شارل .. أخيرا رفرف العلم العثماني مرة أخرى فوق سور القاهرة...

- لا بأس... لكنني كنت أتمنى أن أرى علما مصريا يرفرف فوق سور القاهرة... لا علما عثمانيا"(١).

تتصارع الأفكار في رأس الشخصية المصرية/ ذاته العينية إزاء موجهه ومعلمه عن الفارق بين البلدين مصر والدولة العثمانية، فكلاهما جزء من الأمة الإسلامية، وتبدو أداة الحجاج "لكن" التي تعكس مضمون الكلام السابق مشفوعة بفعل التمنى الشفيق، فالشك لم يعد يداخل الأنا المصري تجاه الأخر الفرنسي الذي التبس بدور المعلم خاصة مع ما ساقه الإيتوس من تصوير لذاته من حجج منطقية قدمته ناصحا موجها لا مقاصد سلبية له في الدفع نحو الهوية الوطنية، لتؤيد كونه ناصحا لا العكس، كان هذا بمثابة تقديم للإيتوس بكل صفاته وأفعاله التي تسهل الإذعان لحججه، فقد قدم نفسه لشخصية "أيوب" بذكر بعض مواصفاته المتحركة، من الإعلان عن إقامته في مصر منذ زمن طويل قبل مجيئ الحملة الفرنسية إليها، وبذهابه إلى بيت "عمر مكرم" ليعلن التبرؤ من غزو حكومة بلاده لمصر التي يرى أن بلده بعد ثورة تدعو للحرية والإخاء كان يُفترض ألا تقدم على غزو دولة أخرى.

كما يستخدم شارل في الوقت نفسه السلم الحجاجي عبر الحوار ليؤكد أهمية الهوية الوطنية(٢):

١- الاحتلال هو سيطرة بلد على آخر.
٢- الدولة العثمانية تفرض سيطرتها على مصر.
٣- الدولة العثمانية بالنسبة لمصر بلد آخر.
٤- الدولة العثمانية تحتل مصر.

---

(١) ناصر عراق، رواية الأزبكية ، ١٨.

(٢) المرجع السابق ،١٨٨.

نتيجة السلم الحجاجي"(الدولة العثمانية تحتل مصر) تثير استياء الأنـــا/أيوب (الدارس في الأزهر) فيصرح:

"بلدنا ليس محتلا يا خواجه شارل، فالسلطان العثماني الذي يحكمنـــا رجـــل مسلم يصلي ويصوم مثلنا، والعثمانيون مسلمون مثلنا..." (١).

"الإيتوس/ شارل" بعد أن رأى رفض حجته الأولـــى فـــي احـــتلال الدولـــة العثمانية لمصر عبر السلم الحجاجي، يعيد تشكيل ذاته أمام الآخر/ أيوب بما يجعله ليس صاحب غاية نفعية، كما يقدمه رافضا لكل أشكال السيطرة للدول على بعضها البعض وإن كان الاحتلال يمثل موطنه/ فرنسا؛ لذلك جاء "اللوجس" عقليا بحتا بعيدا عن العاطفة.

"الهوية" التي ترصدها شخصية/أيوب مازالت تضع العقيـــدة مكونهـــا الأول والأخير، ففي الجزء التالي في الحكاية – دون الخطاب– والمعنون بـــــ "نفيســـة البيضاء" ، يرفض "أيوب" اغتيال "نفيسة البيضاء" لدعوتها "بونابرت" لمنزلها بسبب الدين: "صحيح إنها شركسية، لكنها مسلمة مثلنا"(٢).

إن الهوية الذاتية لشخصية/أيوب تعلو هويته العينية(٣) حينما تتطـــور عبـــر الزمن وتتغير لتصبح أكبر داع للهوية الوطنية، ليغدو من وجهة نظـــره المكـــون الأول للهوية بديلا عن الهوية الدينية، لقد انتصر الكاتب الضمني للهوية الوطنيـــة وحاول الإقناع بها حينما أقام حججا متنوعة ترصد "الهوية الذاتية" لشخصية "أيوب" وهي تتبدل، وتتغير في قناعتها، وذلك لا يعنى أن تخرج عن حدود هويتهـــا لغـــة

---

(١) ناصر عراق، رواية الأزبكية ، ١٩٠.

(٢) السابق، ٢٥٤.

(٣) الهوية العينية والهوية الذاتية هما مصطلحان لـــ "بول ريكور"، والأولى ثابتة لا تتغير هي ذات الشخصية القارة فيها المميزة لها عن سواها (دين/لغة/جنس)، والثانية هـــي الـــذات متطورة عبر الزمن فهي قابلة للقلب والتغيير والتبديل، ينظر: بول ريكور، الـــذات عينهـــا كآخر،٢٥١،٢٥٢.

ودينا بل تظل "الهوية العينية" الثابتة هي مدار الأصل، ما حدا بـــ "بول ريكور" إلى التأكيد على أن الجدل المتحقق بين الهوية الذاتية والعينية يصل لأقصى مـــداه فـــي السرد(١)، إن الصراع الذى نشب بين الهوية الذاتية والهوية العينية ما كان ليتحقـــق إلا بوجود شخصية شارل/الآخر الفرنسي فـــ" الهوية ناقصة في غياب الغير الـــذي يمنحها فرصة أن تكون كذلك بما يوفره من اختلاف"(٢) .

ينطلق الإيتوس بعد رسم صورة حيادية محبة لبلد أقام فيـــه صـــوب حجـــج منطقية أقوى وأكثر تركيزا وعمقا، فيستخدم القياس المضمر:

١- لا يجوز للدولة العثمانية أن تسيطر على مصر.

٢- لا يجوز للقلب أن يسيطر عليه من قبل أي كيان.

٣- مصر قلب الدولة العثمانية.

ويستمر الحجاج المنطقي فيعقد شارل مقارنة بين مصـــر وفرنســـا، فيـــذكر العوامل التي قفزت بفرنسا إلى مصاف القوى الكبرى بينما ظلت مصر في عـــداد الدول المتخلفة، ويعد الحجاج بالتقابل من أكثر طرق الحجاج العقلية سرعة وسهولة في النفاذ إلى العقل وسرعة الفهم(٣).

بعد أن ينتهي إلى كون "فرنسا" الطرف المتقدم، يأتي لتوضيح هـــذا التفـــوق الفرنسي عبر التمثيل بالثورة الفرنسية، وللتمثيل دوره في الحجاج إما بتقديم حالـــة سابقة أو باستخدام النظائر الكبرى في الحجاج السياسى خاصـــة(٤)، وقـــد اعتمـــد المحاجج هذا الأسلوب لإقناع "أيوب" بالنمطين، فحالة "فرنسا" فـــي ثورتهـــا تعـــد

---

(١) ينظر: بول ريكور، الذات عينها كآخر، ٢٥١.

(٢) عبد الرحيم جيران، "الهوية والسرد"، فصول، ١٢١.

(٣) عبدالسلام عشير: عندما نتواصل نغير. مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠١٢، ١٨٤.

(٤) ينظر: كريستيان بلانتان: الحجاج ، ت: عبدالقادر المهيـــرى ، م. عبـــدالله صـــولة ، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠ ، ٨٧ ، ٨٨.

بالنسبة لمصر حالة سابقة، كما أنها تمثل نظيرا من الدول الكبرى التي تطمح "مصر" حينها للمضي في طريقها.

مازال "الإيتوس" يعتمد على معرفته بشخصية محجاجه/أيوب، وإحاطته بأهم مكونات هويته العينية جيدا، فهو لا يقبل دينيا الخروج على حاكمه المسلم؛ لذلك عمد إلى حجة التعليل المدمجة أو المختلطة بالتمثيل: "إن الدين أمر خاص بين المرء وربه، فلا يجب أن يستثمره أحد لصالحه كما كان يفعل الرهبان والقساوسة عندنا في أوروبا، وكان الواحد منهم يتعامل مع البسطاء باعتباره المتحدث الرسمي باسم السماء، فاكتشفنا خداعهم وانتزعنا حقوقنا"(١).

يستمر المحاجِج/شارل في عرض حججه بلا انقطاع، فالطرف الآخر بدأ يستجيب، الأمر الذي جعله لا يعلق في غالب الأمر، حتى غدا الحوار من طرف واحد فى الجزء المعنون بـ "فولتير في النيل" الذي يشمل من مساحة النص ست صفحات ونصف الصفحة، فقد امتثل "أيوب" للحقل الحجاجي/الأكاديمي التعليمي تماما، فلم تخرج منه سوى بضع إشارات جسدية تحث مخاطبه على المضي في الكلام "لم يعلق وأشار بعينيه طالبا المزيد"(٢)، أو طرح أسئلة مقتضبة(٣) ، راعت الحقل الذي دار فيه الحجاج.

أتت الحجج السابقة بجدواها في تحريك الهوية الذاتية ودفعها نحو التغيير، ففي الحوار الداخلي غير المباشر الذي نقله الراوي الخارجي نقلا غير مباشر يدور الصراع بين الهوية الذاتية والعينية في نفس/أيوب: " فمضى يقلب في رأسه فكرة الوطن، وكيف يمكن لها أن تتوافق مع فكرة الأمة الإسلامية، وتساءل باطنه هل يمكن أن يأتي يوم تصبح فيه مصر وطنا مستقلا غير تابع لأحد حتى الأستانة، ويحكمها رجل مصري لا واحد من باشوات العثمانيين، أو بكوات المماليك ومشايخ

---

(١) ناصر عراق،الأزبكية، ٢٥٥.

(٢) السابق، ٢٥٤.

(٣) ينظر: السابق، ٢٥٥، ٢٥٦.

الأزهر أين سيذهبون وماذا سيفعلون؟ ... تتصارع الأفكار فى ذهن الشخصية ثم تصدم جميعها فى النهاية "بالأفكار الإسلامية الشائعة"[١]_ على حد تعبير الراوي الخارجي_، لم يبق إلا أن يقنع رفاقه بما اقتنع به، لقد تغيرت العقلية[٢]، ولابد أن يتبعها السلوك أو الفعل لتحقيق ما اقتنع به، وهو ما يطابق القول بأن:" الهوية صيرورة متجددة"[٣].

٥-٢- حوارات/حجاج: أيوب ورهطه:

الحجاج في النص السردي يتوجه إلى الخاص/المتلقي الأول المباشر داخل السرد وإلى العام/الملتقى الثاني/المسرود له، ومن ثم فكل ما سبق من حجج وما هو آت يندرج تحت هذا الأمر، كما أن القيمة الحجاجية للحوار ليست مستقلة عن مضمونه الأخباري، بل إنها من الممكن أن تحدد هذا المحتوى الإخباري، وعلى هذا فما تقدمه الشخصية الرئيسة هنا/أيوب يربط بين الدلالي والتداولي[٤]، فيحدد مضمون الحوار فى عالم السرد بجامع السياق السردي ليدخل من الممكن فى إطار التوجيه أو التحريك في المسار السردي.

يعقب الجزء السردي المسمى "فولتير" -والذي كثفت فيه حجج شارل لإقناع/أيوب بتقديم الهوية الوطنية على سواها - في السرد والخطاب جزءا معنونا بـ "المهمة الجديدة"، وفيه يجمع "أيوب" أصحابه، ويتحول دوره السردي من ذات فعل إلى ذات تحريك أو موجه، يُقنع بما اقتنع به، لكنه -بوصفه أصبح "إيتوس" ينتمي لطبقة المحاوَرين- يختار اللوجوس/الحجج بما يتناسب مع ما يعلمه من معتقداتهم وعاداتهم، فالمحاوَر (الباتوس)/صورته ماثلة فيذهن محاورِه ينتقي ما

---

(١) ناصر عراق،الأزبكية ، ٢٥٧.

(٢) ينظر: أبوبكر عزاوي "الحجاج في اللغة "، ت: محمد البقالي ، فصول البلاغة الجديدة ، مجلد ١، عدد ١٠١ ، خريف ٢٠١٧ ، ٤١٢.

(٣) عبد الرحيم جيران، "الهوية والسرد"، فصول، ١٢١.

(٤) ذلك الجمع بين الأمرين هو أس التداولية المدمجة.

يتناسب معه؛ لذا بدأ أيوب من منطلقات/مواضع لا يخرج عنها: "ما معنى أن تصير مصر دولة بمفردها لا تتبع أحدا؟ ألسنا مسلمين مثل السلطان العثماني، والمسلمون كما أمر ديننا يجب أن يتبعوا ولي الأمر ويدينوا له بالطاعة والولاء"(١).

إن المرسل/ذات التوجيه (أيوب) افتتح حواره مع عصبته فى الجزء السردي المعنون بـ "المهمة الجديدة" بسؤالين أحدهما حقيقي والآخر استنكاري وضمن الأخير التشبيه ليعقد مقارنة بين السلطان العثماني وسائر المصريين من المسلمين، إنه هنا وهو يحاول إقناع عصبته واستمالتهم بضرورة أن يحكم مصر مصري، استخدم أسلوب الحجاج بالشرح الذي يستثمر عدة وسائل منها السرد والتعريف والمقارنة والتشبيه والمثال(٢)، وقد استخدم المحاور/أيوب ثلاثا منها فى الفقرة الحوارية السابقة، إن المقارنة بين السلطان العثمانى وسائر المصريين تعد نسقا بسيطا يناسب البسطاء، ويناسب دور الموجه الذى يمثله/أيوب بالنسبه لأصدقائه فهو قائدهم الذى أسلموا له القيادة طوعا، إن القدرة على المقارنة "هي عمل الشخص الذى "يعلم"، و "يرى"، و"يعرف" وإننا حين نقارن "نكشف" للغير عن شيء آخر"(٣)، كما أنه يناسب الانفعال الذي كان يتحدث به؛ لذا استمر على الوتيرة نفسها مستخدما التأكيد في الجملة التالية: "إن مصر يا إخواني نسكنها نحن المصريين ومعظمنا مسلمون، وكلنا نتحدث اللغة العربية، حتى الأقباط واليهود الذين يعيشون بيننا يتحدثون لغتنا، ويفصلنا عن أوروبا بحر عظيم، ويحجبنا عن آسيا بحر كبير آخر، وكل من هو خارج هذه الحدود لا يتحدث لغتنا، وبالتالي لا يحق له أن يحكمنا أو يتحكم فينا، ثم إن... "(٤)، يقاطعه حينها "دياب" بادئا بـ "لكن" التي تناقض قوله،

---

(١) الرواية: ص ٢٦١.

(٢) ليونيل بلنجر، عدة الأدوات الحجاجية ، ت: قوتال فضيلة ، ضمن الحجاج أطره ومنطلقاته، ج٥ ، ١٢٢.

(٣) ليونيل بلنجر، عدة الأدوات الحجاجية ، ص ١٣٠.

(٤) ناصر عراق، رواية الأزبكية،٢٦٢.

فكل المسلمين فى بلاد الشام يتحدثون العربية، لقد أضعف حجته حينما نقضها بأن هوية اللغة تضم كثيرين ممن ليسوا على أرض الوطن، ما جعل المرسل/أيوب يغير اتجاه حجته المنطقية بأخرى أكثر تخصيصا.

إن إشكالية الموضوع المحاج له أو موضوع الحجاج/ تقديم الهوية الوطنية على مكونات وحدة اللغة والدين بالنسبة لشخصيات تنتمى لأعرق مؤسسة دينية إسلامية (الأزهر) في تلقي علومها جعل الحجاج يستعر بين الشخصيات، فغير المحاج وجهة حجاجه بأخرى صريحة بأن كل دولة ينبغي أن يكون لها أرض، وحدود معروفة، وحاكمها من أهلها؛ وذلك لاختلاف العادات.

إن هذا الجزء من الرواية أكثر أجزائها استشكالا لأنه يكثف لمدار السرد (لإقناع عبر الحجاج بالهوية الوطنية)، والحجاج فى أصله خطاب استشكالي؛ لذا كثرت الأسئلة فى هذا الجزء ما بين حقيقي أو مجازي/ ظاهر أو مضمر، وكان سجالا بين "أيوب"/ذات التوجيه وسائر الشخصيات/ذات الفعل، فحتى الأجوبة حوت أسئلة ضمنية؛ لذلك فور انتهاء "أيوب" من حواره انطلق "دياب" ساخرا:

"آه.. بركات الخواجه شارل هلت بعد عودتكما من الإسكندرية"[١].

التعليق الإخباري حمل سؤالا ضمنيا[٢] يعتمد على الموضع وحال المتحاورين: كيف تتبع فرنسيا وهو غير مسلم؟ لذا كان رد المحاوِر/أيوب سريعا بسؤال استنكاري: ما لها فرنسا؟[٣] وقد تطورت لحد لم يخطر على بال المسلمين. هنا يصرح محاوره باستدراك متمم لسؤاله الضمني: "ولكنهم كفار اعتدوا على ديار المسلمين!" [٤]

---

(١) ناصر عراق،الأزبكية ، ٢٦٣.

(٢) الاستفهام والسؤال لا يتطابقان بالضرورة، السؤال يتجاوز حدود اللغة أي الجمل الاستفهامية الصريحة ويشمل السؤال الضمني المتولد من الإجابات نفسها. ينظر: ميشيل ماير: اللغة والمنطق والحجاج ، ت: محمد أسيداه، من كتاب الحجاج أماهيته ومجالاته، ج٥ ، ٣٣.

(٣) ناصر عراق،الأزبكية، ٢٦٣.

(٤) السابق نفسه.

ثم يردف بحجة السلطة الدينية: "إن الدين عند الله الإسلام"(١)، يستثمر للرد حجة السلطة الدينية فلا يضارعها سواها، فيورد حجة دينية أخرى مدعمة "ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة".

لقد حظيت المحاورة المحتدمة بلحظات صمت جعلت ذات التوجيه يوقن أنه وصل لنتيجة طيبة فصرح بمراده مباشرة مستخدما لفظ (احتل) في وصف السلطان العثماني "الآن وبعد أن رحل جيش الفرنساوية احتل السلطان العثماني مصر مرة أخرى كما تعرفون، حيث أصبح حكم مصر – أي القاهرة –من نصيب خسرو باشا"(٢).

ويُستخدم في هذا الجزء الذي عرض من خلال الحوار المباشر، مصحوبا بتعليقات الراوي الخارجي الحجاج بالوصف والمقابلة، فيصف الحوار السلطان العثماني بالاحتلال، ويقابل ذلك عند الراوي الخارجي بوصف أيوب بـ"الزعيم"(٣)، فالزعامة تسلم بسلامة الرؤية وتقتضي السير خلفه وعدم مخالفته، ثم ينقل حوار أيوب الداخلي في محاولة للإيهام بالحياد في التعبير عن استجابة الأقران، مستخدما لفظ الإقناع ما يؤكد مقصدية الراوي الضمني للإقناع عبر استراتيجية الحجاج:

"قال لنفسه: ها هم قد اقتنعوا بكلامي أو كادوا"(٤).

فيلقي بآخر حججه المفحمة عبر سيل من الأسئلة الاستنكارية يتبعها بتعجب: "... رجل أجنبي، فكيف قبلنا بأن يحكمنا؟ وما الفرق بينه وبين بونابرته أو كليبر أو مينو؟ هل يكفي أنه مسلم؟ ما أتعس حظوظ المصريين!" (٥).

---

(١) ناصر عراق، الأزبكية، ٢٦٣.

(٢) السابق، ٢٦٤.

(٣) ينظر: السابق ،١٧٤، ١٨٥.

(٤) السابق، ٢٦٤.

(٥) السابق،٢٦٧.

يعلق الراوي الغفل/ الخارج حكائي واصفا نجاح ذات التحريك في مهمتـــه، ومكررا استخدام حجة الوصف لشخصية أيوب، ومصرحا بأن الحوار دار في إطار التواصل الحجاجي: "رصد أيوب أثر كلامه في وجوه أصحابه الذين ألجمتهم حجة زعيمهم، فآثروا التريث ولاذوا بالسكون"(١).

٦-الإقناع واختيار الشخصيات

فى دراسة تتبع تشكيل الهوية في السرد تأتي الشخصـــيات مكونـــا رئيســـا للمقاربة – لاسيما – وهي تعتمد السردية وتوسع مجالهـــا بالبعـــد التـــداولي مـــن السميائية ممثلا في الحجاج؛ إذ لا يمكن مقاربة الشخصيات بعيدا عن مشكلة الدلالية نفسها(٢).

والشخصية كما يراها "فليب هامون" إما مواصـــفات ثابتـــة أو مواصـــفات متحركة(٣)، تحيل إلى العالم الثقافي الذى يحوي هذه الشخصيات، والشخصيات عنده من أهمها المرجعية والإشارية والاســـتذكارية(٤)، فالشخصـــيات ذات المرجعيـــة التاريخية هنا الأهم لأنها تستدعي معها ســـياقها التـــاريخي الزمنـــي وفضـــاءها المكاني(زمكانيتها)، تليها الشخصيات ذات المرجعية الاجتماعية التي تعـــد أنماطـــا لنماذج اجتماعية مصرية عاشت في تلك الحقبة، والإشارية منها "أيوب" الذي سبق إمكانية عده رمزا لشخصية المصري المسلم الحائر في عماد هويته/ والذي يمكـــن بمواصفاته الثابتة بوصفه ناسخا أن يمثل مشروعا للمثقف المصري.

---

(١) ناصر عراق، الأزبكية، ٢٦٧.

(٢) ينظر: سعيد بنكراد، شخصيات النص السردى، رؤية ، القاهرة ،٢٠١٦، ٧٨.

(٣) ينظر: فليب هامون " من أجل نظام سيميائي للشخصية"، ضمن شـــعرية المســـرود رولان بارت وآخرون، ت.عدنان محمود محمـــد أحمـــد، الهيئـــة العامـــة الســـورية للكتـــاب، دمشق،٢٠١٠، ٩٣.

(٤) ينظر: السابق، ١٠٢-١٠٨.

الشخصيات التاريخية في الرواية منها: نابليون، ونفسية البيضاء، الجبرتي، ومحمد علي الكبير والي مصر، وعمر مكرم، والشيخ عبدالله الشرقاوي، ومحمد أبو أنور السادات، وحسن كاشف، والضابط الفرنسي موريه.

ويمكن أن نقسم الشخصيات في النص إلى مجموعة من الثنائيات:

منها ما يرجع للهوية الوطنية، وتأتي شخصية المصري القاسم المشترك فيها أمام الآخر:

المصري × الفرنسي

المصري × المملوكي

المصري × الألباني

ومنها ما يرجع للعنصر الديني فيكون التقابل محصورا بين:

مسلم × غير مسلم

ومنها ما يعود إلى اللغة فيكون التقابل بين:

عربي × غير عربي.

كل هذه التقابلات بين الشخصيات التي شغلت حيز الأحداث بمواصفاتها الثابتة والمتحركة لتشهد الإقناع بالهوية الوطنية وضرورة المثاقفة لشخصيات المحكي أو تصف تحولاتها، وفي التقابل الأهم- الراجع للهوية الوطنية(موضوعة النص الرئسية)- ترد معظم الشخصيات ذات المرجعية التاريخية لتقابل سواها المتخيلة، وليؤدي مجرد طرح اسمها في النص الروائي المعاصر مفارقة زمنية تستحضر لفضاء النص"الإطار الفضائي الذي يحتوي قصة هذا الاسم في كل إيحاءاتها"[١] ، فثنائية المصري × الفرنسي مثلها عدد من شخصيات المحكي فيما يقابلها من شخصيات تاريخية أو تخيلية على النحو التالي:

المصري = أيوب/علي/شلضم

(١) سعيد بنكراد: شخصيات النص السردي ، ١٢٨.

الفرنسى = بونابرت/كليبر/كابتن مواريه/شارل الرسام/الملازم فرتراي.

فاستدعاء شخصية "بونابرت" بكل إيحاءاتها التاريخية تضيء شخصية أيوب الضد/المصري لتجعله زعيما شعبيا/ ممكنا مقابلا للزعيم الفرنسي الرسمي/ التاريخي، الأول يتيه بمواطنته لفرنسا ووطنية يسعى لإعلاء مجدها، ما يجعل للضد الذي وسمه السارد الخارجي/العليم في إطار حجاجه بالزعيم كل الحق والندية في الانتصار لهويته الوطنية(المصرية).

فالمواصفات المقدمة لشخصية "أيوب" فضلا عن موقعها في مطلع النص، وكذلك دوره السردي وبرنامجه من الحيز النصي؛ تجعله الممثل للشخصية المصرية المناضلة من أجل هويتها الوطنية ما رجح ما سبق من إمكانية عده رمزا للمصري الباحث عن هويته والمطور لذاته، فالمواصفات المبكرة الثابتة قدمت على لسان راو داخلي آخر هو "شارل الفرنسي" الذي يمثل شخصية رئيسة في ثنائية الأنا/الآخر، المصري/الفرنسي لكن على نحو مختلف يمثل المثاقفة مع الآخر دون الذوبان فيه، فيؤيد تداخل وتطور الهويات لا صراعها.

قدم الراوي الداخلي المشارك/شارل مواصفات شخصية أيوب على أنه: "ناسخ الكتب النبيه"[١] المخلص لحب فتاته الفرنسية فلم يتزوج بعد وفاتها إلا بأعوام، وتلك المواصفة تعد الأبكر في النص، وذات الأهمية فيما يتعلق بالشخصية الرئيسة في المسار السردي وبطبيعتها كرمز، فناسخ الكتب ذاكرة التاريخ الوطني، هو الزعيم هو المثقف، فالكاتب الضمني يجعل الزعامة والوعي في جانب المثقف، كفيلة بجعله الأجدر بالبحث عن عماد هويته والإقناع بها، وهو بدلالة دال العَلَم "أيوب"/الصابر على رحلة بحثه عبر تاريخه الطويل وما مر عليه من عناصر تشكل هويته، ليرسب في النهاية –كما يوجه المسار السردي–على الهوية الوطنية

(١) ناصر عراق، الأزبكية،١٧.

فللوطن(مصر) الولاء الأول وكل الانتماء على ما عداها من مكونات الهوية بحسب السرد.

وتأتى شخصية أيوب لتقابل فى هذه الثنائية من طرف آخر شخصية مواريه الفرنسي المتعصب لوطنيته، فبرنامج "أيوب" السردي صور تثوير الهوية والإقناع بها لديه تصويرا دقيقا في كل تحولاته، وصراعاته بين الهوية الذاتية والغيرية.

الخاتمة:

الهوية من أهم الموضوعات وأكثرها خطرا في عصرنا الحالي، وحضورا في السرد العربي، تكاد تظهر– تقريبا– في كل المدونات السردية، فقد تبرز على سطح النصوص أوتمكث في العمق لتشير إلى أهم موضوعات السرد وتيماته، وقد كشفت الدراسة السردية الرامية إلى الإقناع والمتوسلة لذلك بنظرية الحجاج بوصفه استراتيجية من استراتيجيات الإقناع عن توفر النص المدروس رواية "الأزبكية" لـ"ناصر عراق" على تيمة الهوية، وحجاجه للإقناع بمكون الهوية الوطنية المصرية كأصل أو مكون أساسي سابق على غيره، أثيرت أسئلتها من قبل الراوة المتعددون ما بين داخلي وخارجي، واستخدمت وسائل الحجاج وأساليبه المختلفة للإقناع بها، وتراوح الحجاج بين ضمني وصريح مباشر، ضمني في وجهة النظر في وصف فقر البئية المكانية، وافتقار قاطنيها للتعليم والأخذ بأسباب التحضر، ومباشر صريح في الحوار، اللذي أزال المسافة بين القارئ والراوي أو العاكس فجاء الحجاج أكثر إقناعا، ويمكن فيما هو آت تتبع هذه التيمة–الهوية– والإقناع بها في مدونة الكاتب المختار، أو في المدونة السردية المصرية، أو تعميمه ليشمل المدونة السردية العربية في تتبع كاشف لطبيعتها، وتوجيه الكتاب الضمنيين في السرد لها.

المصادر والمراجع

أولا: **المصادر**:

١- ناصر عراق، رواية الأزبكية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٦، ط٣.

ثانيا: **المراجع العربية**:

١- أبوبكر عزاوي "الحجاج في اللغة "، ت: محمد البقالي ، فصول البلاغة الجديدة ، مجلد ١، عدد ١٠١ ، خريف ٢٠١٧.

٢- بديعة الطاهرى، السرد وإنتاج المعنى، رؤية، القاهرة، ٢٠١٥.

٣- سعيد بنكراد: شخصيات النص السردى، رؤية ، القاهرة ،٢٠١٦، ص ٧٨.

٤- سيدي محمد بن مالك" السرديات من الملفوظ إلى التلفظ"، مجلة بحوث سيميائية، م٨ ع١٤، جوان ٢٠١٩.

٥- عادل درغام، الرواية التاريخية رواية الهوية الأزبكية لناصرعراق، دراسات عربية وإسلامية جامعة القاهرة، مركز اللغات الأجنبية والترجمة، القاهرة، ج٦٥، ٢٠١٧.

٦- عبد الرحيم جيران، "الهوية والسرد" ، فصول ، العدد٨٧ ،٨٨، ٢٠١٣.

٧- عبدالسلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،٢٠١٢.

٨- علاء الدين فتحي محمد ،جدلية السرد والتاريخ في الروايات الجديدة: دراسة في روايتي "إيقاع" و"الأزبكية، مجلة كلية دار العلوم، الجابري، القاهرة،ع ١٠١ ، ٢٠١٧.

٩- محمد حمودي، الحِجاج واستراتيجية الإقناع عند طه عبد الرحمن مقاربة إبستمولوجية، حوليات التراث ع١٢، الجزائر، ٢٠١٢.

١٠- محمد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته، ج٢، عالم الكتب- جدارا للكتاب العالمي، عمان، ٢٠١٠.

١١- محمد الناوي،"السرديات التلفظية والنقد المحايث"، مجلة فكر العربية، ع ٤،٥، ٢٠١٧.
١٢- محمد مصطفى حسانين ، معلقة عمرو بن كلثوم الحجاج والسلطة والهوية"، ضمن النص الشعري قراءات تطبيقية، الانتشار العربي، بيروت،٢٠١٦، ١٩.
١٣- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي، تونس،٢٠١٠.
١٤- محمد نجيب العمامي، في تحليل الخطاب السردي، دار المعرفة للنشر ، ٢٠٠٩.
١٥- محمد نجيب العمامي، الذاتية في الخطاب القصصي، دار محمد على للنشر ،كلية الآداب بمنوبة، تونس،٢٠١١.
١٦- محمد نجيب لعمامي، محاضرات في السرد، النادي الأدبي بحائل، الرياض، ٢٠٢٠.
١٧- منصوري مصطفى، سرديات جيرار جينت في النقد العربي الحديث، رؤية، القاهرة، ٢٠١٥.
١٨- نادر كاظم، الهوية والسرد، دار الفراشة ، الكويت ، ط٢ ، ٢٠١٦.

ثالثا: المراجع المترجمة:

١- ألفي بولان، المقاربة الداولية للأدب، ت.محمد تنفو، ليلى أحمياني، رؤية، القاهرة،٢٠١٨.
٢- باتريك شارود مانجنو، معجم تحليل الخطاب، ت.عبد القادر المهيري، حمادي صمود، دار سيناترا- المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨.
٣- بول ريكور، الذات عينها كآخر، ت. جورج زيناتي، مركز دراسات الوحدة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،٢٠٠٥.
٤- جينز بروكمبير ، دونال كربو، ت.عبدالمقصود عبدالكريم: السرد والهوية: دراسات فى السيرة الذاتية والذات والثقافة، المركز القومي للترجمة، القاهرة ، ٢٠٠٦.

٥- رولان بارت وآخرون، شعرية المسرود، ت.عدنان محمود محمد أحمد، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،٢٠١٠.

٦- كريستيان بلانتان: الحجاج ، ت. عبدالقادر المهيرى، م.عبدالله صـــولة ، دار سيناترا، المركز الوطنى للترجمة، تونس، ٢٠١٠.

٧- ليونيل بلنجر،عدة الأدوات الحجاجية ، ت: قوتال فضيلة ، ضـــمن الحجـــاج ماهيته ومجالاته ، ج٥ ، ٢٠١٠.

٨- مارك كوري، نظرية السرد ما بعد الحداثية، دار شهريار، بغداد، ط٢ ٢٠٢٠.

٩- ميشيل ماير، اللغة والمنطق والحجاج ، ت: محمد أسيداه ، من كتاب الحجـــاج مفهومه ومجالاته، ج٢، عالم الكتب- جدارا للكتاب العـــالمي، عمـــان، ج٥، ٢٠١٠.

١٠- واين بوث، مقدمة بلاغة الرواية، ت.أحمد خليل عردات، علي بن أحمـــد الغامدي، مركز البحوث كلية الآداب.جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٤.

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	٤٧٤٤
٢-	Abstract	٤٧٤٥
٣-	مقدمـة:	٤٧٤٦
٤-	تمهيد:	٤٧٤٨
٥-	١-مفهوم الهوية، والهوية بين السرد والتاريخ:	٤٧٤٨
٦-	٢- وجهة النظر من السرديات الكلاسيكية إلى السرديات التلفظية	٤٧٥٣
٧-	٣-مداخل السرد:	٤٧٥٥
٨-	٤- الحجاج عبر وجهة نظر الراوي	٤٧٥٧
٩-	٥-الحجاج فى حوار الشخصيات:	٤٧٦٦
١٠-	٦-الإقناع واختيار الشخصيات	٤٧٧٦
١١-	الخاتمة:	٤٧٨٠
١٢-	المصادر والمراجع	٤٧٨١
١٣-	فهرس الموضوعات	٤٧٨٤

تم بحمد الله